مفهوم الإسلام في القرآن

The concept of Islam in the Qur'an

أ. م. د. إسراء ربيع عبيد

الجامعة المستنصرية

كلية التربية - قسم علوم القرآن

A.M.D. Israa Rabie Obaid

Al-Mustansiriya University, College of Education

Department of Qur'anic Sciences

الملخص

البحث يسلط الضوء على مفهوم الإسلام في القرآن والذي يمكن حصره بمعنيين :

معنى عام ومعنى خاص ، فالعام هو دين جميع الأنبياء الذي ارتضاه الله للبشرية جمعاء والذي معناه الاستسلام والانقياد والخضوع لله تعالى ، واما المعنى الخاص فهو الشريعة التي جاء بها النبي محمد ﷺ وقد قُسم البحث على تمهيد ومبحثين وخاتمة .

Summary:

The research sheds light on the concept of Islam in the Qur'an, which can be limited to :

A general meaning and a specific meaning. The general is the religion of all the prophets that God has approved for all of humanity, which means surrender, submission, and submission to God. What concerns the specific is the Sharia that the Prophet Muhammad, may God bless him and grant him peace, brought. The research is divided into an introduction, two sections, and a conclusion.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد الأمين واله واصحابه اجمعين ، وبعد :-

الله سبحانه وتعالى خلق هذا الكون وسخره للإنسان وعلى الانسان ان يعلم الغاية التي من اجلها خلق الله الخلق – ألا وهي الدعوة الى التوحيد .

ومنذ ان خلق الله آدم حتى آخر الأنبياء محمد ﷺ جميعهم كانت دعوتهم واحدة وهي عبادة الله الواحد الاحد لا شريك له ونفي الولد والزوجة والانداد والشركاء عنه ، فلا معبود بحق إلا هو ، وقد تجلت هذه المعاني العظام في سورة قصيرة الا وهي الإخلاص قال تعالى (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ *لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * *وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ) وهذا هو معنى الإسلام الذي ارتضاه الله ديناً للبشرية جمعاء من آدم الى محمد صلى ﷺ ، فالأنبياء وان تنوعت شرائعهم الا ان دينهم واحد .

وهذه هي النقطة الجوهرية التي يقوم عليها البحث، فالبحث يسلط الضوء على ان دين الله هو الإسلام وهو دعوة جميع الأنبياء على اختلاف شرائعهم وقد قمت بتقسيم البحث الى تمهيد ومبحثين وخاتمة واردفت ذلك بقائمتي الهوامش والمصادر.

التمهيد

دعا القرآن الى الإسلام كثيراً ويتضح ذلك جلياً من كثرة الآيات القرآنية التي دعت لذلك على سبيل المثال لا الحصر ، قوله تعالى) إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ) [١] وقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) [٢] وقوله تعالى (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) [٣] ، وقوله تعالى (قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيَ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [٤] ، وغيرها الكثير لكن هل المراد منها الدين الذي جاء به نبينا محمد ﷺ فقط ، ام ان المراد منها اعم من ذلك ، ولبيان ذلك لابد لنا من تعريف الإسلام في اللغة والاصطلاح ، ثم بعد ذلك نستعرض الايات التي ورد فيها لفظ الإسلام والوقوف على أقول المفسرين ليستبين السبيل في ذلك

الإسلام لغةً :-

قال ابن منظور :» الاستسلام والانقياد ... يقال فلان مسلم أي مستسلم لأمر الله « [٥] .

وقال الفيروزي آبادي :» اسلم ، انقاد ، وصار مسلماً « [٦] .

وقال الرازي : « واسلم امره الى الله أي سلم ، واسلم دخل في (السلم) وهو الاستسلام و (أسلم) من الاسلام « [٧] .

واما مفهم الإسلام في القرآن ، فالمتتبع للآيات القرآنية يجدها لا تخرج عمَا يأتي :-

١- الإسلام الكوني، والمشار اليه بقوله تعالى (وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا)[٨]

ومعناه « الخضوع لقوته القاهرة وكونه سبحانه مسير الاكوان لأنه لا أحد من الخلق له أثر في تسييرها وفيما يكسب من خير وشر والجميع في قدرته وحفظه وهذا الخضوع كرهاً وقسراً وهو سار على الاخيار والاشرار» [٩] .

ويطلق عليه الإسلام القدري فهو « الاستسلام المطلق للقوامة الإلهية والتلقي من هذا المصدر وحده في كل شأن من شؤون الحياة والتحاكم الى كتاب الله المنزل من هذا المصدر واتباع الرسل الذين نزل عليهم الكتاب كل في زمانه .... فهو إسلام الخضوع للأمر ، واتباع النظام ، وطاعة الناموس ... ومن ثم تتجلى عناية الله سبحانه ببيان معنى الإسلام وحقيقته في كل مناسبة كي لا

يتسرب الى ذهن أحد انه كلمة تقال باللسان أو تصديق يستقر في القلب ثم لا تتبعه أثاره العلمية من الاستسلام لمنهج الله وتحقيق هذا المنهج في واقع الحياة «[١٠]

فكل ما في الكون بل الكون كله منقاد وخاضع لله سبحانه وتعالى .

٢- الإسلام الشرعي : وهو الذي أشار اليه سبحانه وتعالى بقوله (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[١١] وقوله تعالى(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ)[١٢] وقوله تعالى(بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ)[١٣]

بناءاً على ما سبق من الآيات فالإسلام هو طاعة والخضوع والانقياد بتذلل لله سبحانه وتعالى وخشوع .

يقول ابن عاشور :» معنى الإسلام اظهار المرء انه اسلم نفسه لله باتباع دينه «[١٤]

فالدين كله انقياد لله وإخلاص له ولذلك سمي اسلاماً.[١٥]

قال تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ)[١٦]

أي وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين مائلين عن الشرك الى التوحيد ويقيموا العبادات من صلاة وزكاة وغيرها وذلك هو دين الاستقامة دين الإسلام . [١٧]

بقي ان نعرف ان الإسلام الشرعي ينقسم على قسمين الإسلام العام والإسلام الخاص وهذا سأبينه في المبحثين اللاحقين ان شاء الله .

المبحث الأول
الإسلام العام

الإسلام ليس ديناً حديثاً كما يتوهم البعض بل هو دين قديم قدم البشرية ولذلك يطلق عليه الإسلام العام والمقصود به كما قال ابن كثير :» هو دين الأنبياء جميعاً من أولهم الى آخرهم ، وان تنوعت شرائعهم وتعددت مناهلهم « (١٨) .

وعرفه ابن رجب بقوله :» هو دين الله كان عليه جميع الرسل « (١٩)

اذن « فالإسلام في لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص ، وانما هو اسم للدين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء..... فالإسلام شعار عام يدور على ألسنة الأنبياء واتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية الى عصر النبوة المحمدية « (٢٠) .

ولو قمت بتتبع دعوات الأنبياء والرسل في القرآن الكريم فما وجدت أحداً من الرسل يدعو الى غير الإسلام . فالإسلام دين عالمي للدنيا بأسرها الى ان يرث الله الأرض ومن عليها والامثلة على ذلك كثيرة.

اولاً :- دعوة نوح عليه السلام : (فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)(٢١)

ذكر البغوي في تفسيره للآية فان اعرضتم عن قولي وقبول نصحي فما سألتكم على تبليغ الرسالة والدعوة من عوض فما اجري وثوابي الا على الله سبحانه وأمرت ان أكون من المستسلمين لأمر الله . (٢٢)

ويقول الرازي في سياق عرضه للحوار بين نوح وقومه ان نوح ذكّر قومه ، انكم سواء قبلتم دين الإسلام أم لم تقبلوا فأنا مأمور بأن أكون على دين الإسلام .(٢٣)

ثانياً :- دعوة إبراهيم وقد وردت في هذا الشأن آيات عديدة

أ- قال تعالى (وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ * إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (٢٤)

الآية تحمل معانٍ عديدة على ما ذكره الرازي فأحدها : الانقياد لأوامر الله تعالى ، والمسارعة الى تلقيها بالقبول وترك الاعراض بالقلب واللسان وثانيها : اسلم أي أخلص عبادتك واجعلها

سليمة من الشرك وثالثها : أستقم على الإسلام واثبت على التوحيد ورابعها : ان الايمان صفة القلب والإسلام صفة الجوارح ..... واعلم انه تعالى لما حكى عن إبراهيم انه بالغ في وصية بنيه في الدين والإسلام ، ذكر عقبه ان يعقوب وصى بنيه بمثل ذلك تأكيداً للحجة على اليهود والنصارى .[٢٥]

ب- قال تعالى : (مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [٢٦]

في هذه الآية يصرح الله سبحانه وتعالى بأن إبراهيم لم يكن يهودياً و لا نصرانياً وانما كان حنيفاً مسلماً مائلاً عن الشرك الى التوحيد منقاد وخاضع ومستسلم لأوامر الله سبحانه وتعالى .

ج – قال تعالى (وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ)[٢٧]

ورد في تفسير الآية « دعوا لأنفسهما وذريتهما بالإسلام الذي حقيقته خضوع القلب ، وانقياده لربه المتضمن لانقياد الجوارح .

ثالثاً: دعوة لوط عليه السلام [٢٨]

قال تعالى (قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ* قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ * لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ * مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ * فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ)[٢٩]

الآيات تتحدث عن حوار دار بين نبي الله إبراهيم عليه السلام والملائكة الذين ارسلهم الله لأنزال العذاب بقوم لوط المجرمين وأشارت الآيات الى انه لم يجدوا في القرية بيتاً موحداً لله منقاد ومستسلم لأوامره غير بيت واحد هو بيت لوط عليه السلام .

رابعاً : دعوة يعقوب عليه السلام

قال تعالى (أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)[٣٠]

الخطاب هنا لبني إسرائيل الذين كانوا مشاهدين ليعقوب عليه السلام حينما دعا بنيه الى ملة الإسلام ملة التوحيد ، وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الأنبياء ما هم منه براء .[٣١]

خامساً : دعوة سليمان عليه السلام

حكى لنا القرآن الكريم دعوة سليمان عليه السلام لبلقيس وشعبها قال تعالى (إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ

وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ)[٣٢] وقال تعالى (قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ * فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ)[٣٣]

ذكرت لنا الآيتان أعلاه مشهدين من مشاهد قصة سليمان عليه السلام ، الأول ارساله كتاباً لبلقيس يدعوها الى دين الله ، وطلب منها ومن قومها عدم التكبر كما يفعل الملوك الجبابرة وان يأتوه مسلمين منقادين طائعين لشريعة الله وحده ، والتي توجب عليهم اخلاص العبادة له دون أحد سواه اذ هو الخالق لكل شيء ، وكل معبود سواه باطل .[٣٤]

اما المشهد الثاني فهو يتحدث عن حضور بلقيس الى مملكة سليمان ، وعرض سليمان لها عرشاً وسألها ان كان هو عرشها ام لا ، فكانت اجابتها (كانه هو) وهذا الجواب يتضمن احتمالين قد يكون هو عرشها وقد يكون غيره لكنه يشبهه الى حد كبير ، فلما ظهر لسليمان دقة اجابتها ، قال عليه السلام «واوتينا العلم بالله وبقدرته من قبلها وكنا منقادين لأمر الله متبعين لدين الإسلام «[٣٥]

ثم بعد هذين المشهدين يأتي المشهد الذي تعلن فيه بلقيس دخولها في دين سليمان ، « اذ لم يصدها علو شأنها وعظمة سلطانها مع ما أوتيته من سلامة الفطرة وذكاء العقل عن ان تنظر في دلائل صدق الداعي الى التوحيد وتوقن بفساد الشرك وتعترف بالوحدانية لله «[٣٦] قال تعالى: (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)[٣٧] .

سادساً: دعوة يوسف عليه السلام

قال تعالى (رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) [٣٨]

«هذا دعاء يوسف الصديق ، دعا ربه عزَ وجل لما تمت نعمة الله عليه باجتماعه بأبويه واخواته وما منَّ الله به عليه في الدنيا ان يستمر بها عليه في الآخرة وان يتوفاه مسلماً حين يتوفاه ، وان يلحقه بالصالحين وهم اخوانه من النبيين والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين»[٣٩] .

سابعاً: دعوة موسى عليه السلام

قال تعالى (وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ)[٤٠]

قال المراغي في تفسير الآية « وقال موسى لمن آمن من قومه وقد رأى خوفهم من الفتنة والاضطهاد :ان كنتم آمنتم بالله حق الايمان فعليه توكلوا ، وبوعده فثقوا ان كنتم مستسلمين مذعنين اذ لا يكون الايمان يقيناً الا اذا صدقه العمل وهو الإسلام «[٤١].

ثامناً: ما جاء على لسان سحرة فرعون

قال تعالى (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)(٤٢)

أي «ربنا هب لنا صبراً واسعاً تفرغه علينا وايدنا بروحك حتى لا يبقى في قلوبنا شيء من الخوف غيرك ,ولا من الرجاء في سوى فضلك ,وتوفنا اليك مذعنين لأمرك ونهيك , مستسلمين لقضائك ,غير مفتونين بتهديد فرعون ,ولا مطيعين له في قوله ولا فعله «(٤٣) .

تاسعاً: ما جاء على لسان بعض أهل الكتاب

قال تعالى(الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ* وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ)(٤٤)

يقول الشعراوي « هؤلاء المؤمنون من أهل الكتاب اذا يُتلى عليهم القرآن ، قالوا : آمنا به وشهدوا له انه الحق من عند الله ، وانهم لم يزدادوا بسماع آياته ايماناً ، فهم كانوا من قبله مسلمين فقد آمنوا اولاً بكتبهم ، وآمنوا كذلك بالقرآن «(٤٥) .

عاشراً : ما جاء على لسان حواريّ عيسى عليه السلام

قال تعالى (فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)(٤٦)وقال تعالى (وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُواْ بِي وَبِرَسُولِي قَالُواْ آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ) (٤٧)

فلما أحس عيسى عليه السلام الكفر من بني إسرائيل وبعد كل المعجزات التي شهدوها عندئذ دعا دعوته ، من انصاري الى الله ، اذا لابد لكل صاحب عقيدة ودعوة من انصار ينهضون معه ويحملون دعوته، فكان جوابهم نحن انصار الله آمنا به واشهد بإسلامنا ، فذكروا الإسلام بمعناه الذي هو حقيقة الدين وأشهدوا عيسى عليه السلام على اسلامهم . (٤٨)

بعد العرض السابق للآيات يتضح ان دين الإسلام هو دين جميع الأنبياء والرسل وان اختلفت شرائعهم قال تعالى (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) (٤٩)

المبحث الثاني
الإسلام الخاص

ويُقصد به دين النبي محمد صلى ﷺ ، الذي لا يقبل الله – من بعد بعثته – ديناً غيره ، وجعل بقية الأديان كفراً لما تضمن اتباعها من الكفر بدين محمد ﷺ والمعصية لله في الأمر باتباعه .(٥٠)

وعرفه عبدالكريم زيدان « الدين الذي جاء به محمد ﷺ من ربه ، بالانقياد التام له بلا قيد أو شرط ، وبهذا الانقياد يظهر خضوع الانسان لرب العالمين خضوعاً اختيارياً وهو جوهر الإسلام «(٥٢)

اذن فالإسلام « يختص بما بعث به محمد ﷺ لأن ما بُعث به النبي نسخ جميع الأديان السابقة ، فصار من اتبعه مسلماً ومن خالفه ليس بمسلم ، فأتباع الرسل مسلمون في زمن رسلهم، فاليهود مسلمون في زمن موسى عليه الصلاة والسلام والنصارى مسلمون في زمن عيسى عليه الصلاة والسلام ، واما حين بعث النبي محمد ﷺ فكفروا به فليسوا بمسلمين» (٥٣) .

وادلة كفرهم من القرآن كثيرة وسأكتفي بذكر البعض منها قال تعالى (لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّ اللّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ)(٥٤) وقال تعالى (وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ * فَمَن تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ)(٥٥).

فالآية تشير الى اخذ الله الميثاق من الأنبياء انه اذا بعث فيهم محمد ﷺ ليؤمنن به ، ومن لم يؤمن بدين محمد ﷺ من اتباع الأنبياء كاليهود والنصارى فانه كافر بنص الكتاب قال تعالى (قَاتِلُواْ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُواْ الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُون)(٥٦) وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)(٥٧) ، ثم قبل هذا وذاك فنبينا محمد ﷺ لم يبعث الى قوم مخصوصين وانما بعث للناس جميعاً قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)(٥٨) .

اذن فدين محمد ﷺ هو الدين الحق الواجب على الجميع اتباعه لأن الله لا يقبل ديناً سواه ،

يقول ابن باديس « ويجيء لفظ الإسلام في لسان الشرع مراداً به الدين كله الذي جاءبه محمد ﷺ »[٥٩] قال تعالى (وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)[٦٠] وقوله تعالى (إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَاب)[٦١] وقوله تعالى (وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا)[٦٢] .

ففي الآيات السابقة سمي الدين اسلاماً وذلك لأن « الدين كله انقياد لله وإخلاص له ، ولذلك سمي اسلاماً »[٦٣] . وكذلك من الآيات التي دلت على ان المراد من الدين الإسلام قوله تعالى (فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ)[٦٤] .

يقول محمد رشيد رضا « هذا وصف لحال المُستعِد لهداية الإسلام بسلامة فطرته وطهارة نفسه من الخُلُقين الصادين عن الحق هما الكبرياء والحسد وبتحليها – أي نفسه – بالهاديين الى الحق والرشاد ، وهما الفكر الصاد عن تقليد الآباء والاجداد ، وقوة الإرادة والرصانة عن اتباع الرُّؤساء أو مجاراة الانداد ، فمن كان كذلك كان اهلاً بإرادة الله تعالى وتقديره لقبول دعوة الإسلام الذي هو دين الفطرة ومهذبها فاذا القيت اليه وجد لها في صدره انشراحاً وإتساعاً..... وهذا هو النور الذي يفيض عليه من القرآن ، وفي معناها قوله تعالى (أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ)[٦٥] »[٦٦] .

ويرد في ذات السياق قوله تعالى (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)[٦٧] وقوله تعالى (وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ)[٦٨].

فهذه الآيات وسابقتها وغيرها كثير يصب في معنى واحد الا وهو ان دين الله هو الإسلام .

وقد يجيء الإسلام بمعنى الاستسلام في الظاهر دون ايمان القلب وهذا لا ينفع صاحبه [٦٩] ، لقوله تعالى (قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ)[٧٠] وهذا اسلام لا ينفع صاحبه فالإسلام الذي يقبله الله تعالى ليس استسلاماً في الظاهر فقط بل هو استسلام ظاهر وباطن لكل ما جاء به الشرع وبذلك يتحقق التوحيد الذي نادى به جميع الأنبياء والرسل .

اذن نبينا محمد ﷺ جاء بدين الإسلام وشريعة الإسلام التي ختم الله بها الرسالات السماوية وجعل دينه وشريعته ناسخا لكل ما سبق

الخاتمة

١- الدين الذي ارتضاه الله لخلقه جميعاً هو الإسلام

٢- جميع الأنبياء جاءوا بدينٍ واحدٍ ، هو دين التوحيد (الإسلام)

٣- اختلاف الشرائع لا يعني اختلاف الدين ، فالدين واحد صدر من مصدر واحد والشرائع متعددة ، قال تعالى (لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا) أشار الى ان لكل امة شرعة اما عندما تحدث عن الدين اسماه باسم واحد (الإسلام) وفي كل الآيات التي جاءت على لسان الأنبياء .

الهوامش

١- سورة آل عمران : ١٩

٢- سورة البقرة : ١٣٢

٣- سورة آل عمران :٨٥

٤- سورة الانعام :١٤

٥- لسان العرب لابن منظور / (ت ٧١١ ه)، دار صادر ، ط٣ /١٤١٤ ه : مادة (سلم) ١٢ /٢٩٣

٦- القاموس المحيط الفيروز آبادي (ت ٨١٧ ه)، تحقيق مكتب تحقيق التراث ، مؤسسة الرسالة ، ط٨ /١٤٢٦ ه ، (باب الميم فصل السين) ٤ /١٨٣

٧- مختار الصحاح لابي بكر الرازي (ت ٦٦٦ ه) ، تحقيق : يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية – بيروت ١٤٢٠ ه : مادة (سلم) ، ١٣١

٨- سورة آل عمران : ٨٣

٩- زهرة التفاسير : محمد أبو زهرة (ت ١٣٩٤ ه) دار الفكر العربي ٣/ ١٢٩٨

١٠- في ظلال القرآن : سيد قطب (ت ٣٨٥ه) دار الشروق – بيروت ط١٧ /١٤١٢ه . ١/٣٥٧ – ٤٢٣

١١- سورة آل عمران : ٨٥

١٢- سورة آل عمران : ١٩

١٣- سورة البقرة : ١١٢

١٤- التحرير والتنوير : لابن عاشور (ت ١٣٩٣ ه)، الدار التونسية ١٩٨٤ م ، ١ / ٢٧٢

١٥- العقائد الإسلامية : لابن باديس (ت ١٣٥٩ ه) ، مكتبة الشركة الجزائرية ، الجزائر ، ط٢ ، (ص٤٣)

١٦- سورة البينة : ٥

١٧- التفسير الميسر : نخبة من أساتذة التفسير ، مجمع الملك فهد ، السعودية ، ط٢ / ١٤٣٠ ه :٥٩١

١٨- تفسير القرآن العظيم : لابن كثير (ت ٧٧٤ ه)، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ،

دار الكتب العلمية بيروت ، ط١/١٤١٩ هـ : ٤ / ٢٤٧
١٩- تفسير ابن رجب الحنبلي(ت ٧٩٥هـ) ، جمع وترتيب : ابي معاذ طارق بن عوض الله ، دار العاصمة : السعودية ، ط١/١٤٢٢ هـ : ١/ ٧٧
٢٠- الرسل والرسالات : د. عمر الأشقر ، مكتبة الفلاح – الكويت ط٤/ ١٩٨٩م (٢٤٣)
٢١- سورة يونس : ٧٢
٢٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن : لابي محمد البغوي (ت ٥١٠) ت: عبد الرزاق مهدي ، دار احياء التراث العربي ، ط١/ ١٤٢٠ هـ : ٢ / ٤٢٨
٢٣- مفاتيح الغيب : للرازي (ت ٦٠٦ هـ) ، دار احياء التراث العربي ، ط٣/ ١٤٢٠ ، ١٧ / ٢٨٢
٢٤- سورة البقرة : ١٣١ -١٣٢
٢٥- المصدر السابق : ٤/ ٣٥ -٦٢
٢٦- سورة آل عمران : ٦٧
٢٧- سورة البقرة ١٢٧ -١٢٨
٢٨- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان : عبدالرحمن السعدي (ث ١٣٧٦هـ) مؤسسة الرسالة ،ط١/ ١٤٢٠ هـ:٦٦
٢٩- سورة الذاريات : ٣١ – ٣٦
٣٠- سورة البقرة : ١٣٣
٣١- مفاتيح الغيب : ٢/ ٦٨
٣٢- سورة النمل : ٣٠ -٣١
٣٣- سورة النمل : ٤١- ٤٢
٣٤- ينظر التفسير الوسيط : محمد سيد طنطاوي ١٠ / ٣٢٨ ، دار النهضة ، مصر ، ط١/١٩٩٧
٣٥- التفسير الميسر : ١/ ٣٨٠
٣٦- التحرير والتنوير : ١٩ / ٢٦٥
٣٧- سورة النمل : ٤٤
٣٨- سورة يوسف :١٠١
٣٩- تفسير القرآن العظيم : لابن كثير : ٤ / ٣٥٤
٤٠- سورة يونس :٨٤

٤١- تفسير المراغي احمد مصطفى المراعي ، مطبعة الباي ، مصر ، ط١ / ١٣٦٥ هـ : ١١ / ١٤٣

٤٢- سورة الأعراف :١٢٦

٤٣ – تفسير المراغي : ٩ / ٣٦

٤٤ – سورة القصص : ٥٢ -٥٣

٤٥ – تفسير الشعراوي (الخواطر) ، محمد متولي الشعراوي (ت ١٤١٨ هـ)

٤٦– مطابع اخبار اليوم : ١٨ / ١٩٥٨

٤٧– سورة آل عمران : ٥٢

٤٨ – سورة المائدة : ١١١

٤٩- ينظر في ظلال القرآن : ١ / ٤٠١ – ٤٠٢

٥٠– سورة المائدة : ٤٨

٥١– ينظر : تفسير ابن رجب : ١ /٧٨

٥٢– أصول الدعوة : د. عبدالكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، ط٩ / ١٤٣٥ هـ ، ص (١٠)

٥٣– معجم التوحيد : إبراهيم سعد ، دار القبس ، ط١ / ١٤٣٥ ، ١ / ١٤١

٥٤– سورة المائدة : ٧٣

٥٥– سورة ال عمران : ٨١ -٨٢

٥٦– سورة التوبة : ٢٩

٥٧– سورة المائدة : ٥١

٥٨ – سورة سبأ : ٢٨

٥٩ – العقائد الإسلامية : ٤٢

٦٠ – سورة ال عمران : ٨٥

٦١ – سورة ال عمران :١٩

٦٢ – سورة المائدة : ٣

٦٣ – العقائد الإسلامية :٤٣

٦٤ – سورة الانعام : ١٢٥

٦٥ – سورة الزمر :٢٢

٦٦ – تفسير القرآن الحكيم : محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤ هـ) ، الهيئة المصرية العامة ،

١٩٩٠ ، ٨ / ٣٦

٦٧ – سورة ال عمران : ٦٤

٦٨- سورة ال عمران : ٨٠

٦٩ –العقائد الإسلامية : ٤٥

٧٠ – سورة الحجرات : ١٤